السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

17

الخميس ١٣ كانون الأول ٢٠١٢ ـ الموافق ٢٩ محرم ١٤٣٤ هـ ـ العدد ١٢٣٥٦

AS-SAFIR Arabic political daily – December 13, 2012 N° 12356

1

المياه في اليمن: استراتيجيات لا تروي عطشاً

لأنها تبقى حبراً على ورق. في الأثناء تنتشر الأمراض المرتبطة بالنقص في المياه وتلوثها، وأما التهديد الفعلي فيتعلق بنضوب الماء.

2

عادت نسب تزويج القاصرات إلى الارتفاع في العراق، حاملة معها التهديدات على صحتهن وحياتهن، وأخرى تخص خروجهن المبكر من المدرسة ثم وقوعهن فريسة الطلاق.

3

هل مصر معدومة الموارد، أم أنها بالعكس غنية بها، ولكن الإهمال والميل الى الربح السريع أديا إلى إفقار المصريين. وهذا ليس قدراً حتمياً... بالدليل الملموس.

4

جواز السفر في بلدان مجلس التعاون الخليجي: انتهاء «المقايضة الذهبية»

هيلدا هياري، الأردن، http://hildahiary.com

في السادس من تشرين الثاني/نوفمبر الفائت، أصدر وزير الداخلية في البحرين قراراً بنزع الجنسية عن واحد وثلاثين مواطناً لتسببهم في «الإضرار بأمن الدولة». ركّزت ردود الفعل الأولى على عيب قانوني في القرار يتمثل بأن نزع الجنسية ليس من صلاحيات الوزير بل هو صلاحية يختص بها الملك نفسه، بعد استنفاد عدد من الإجراءات المنصوص عليها في القوانين السارية. فعلى الرغم من العيوب في تلك القوانين، إلا إنها لا تتيح للسلطة أن تنزع الجنسية عن مواطن إلا بعد ثبوت ارتكابه فعلاً من أفعال الخيانة العظمى، أو اكتسابه الجنسية عن طريق التدليس أو الخداع، أو تنازله عن الجنسية البحرينية بهدف الاحتفاظ بجنسية بلد آخر لا يتيح الجمع بين جنسيتين. وبيَّن قانونيون ومدافعون عن حقوق الإنسان مخالفة قرار وزير الداخلية البحريني للقوانين السارية في البحرين ودستورها، ناهيك عن العهود الدولية التي تعهدت البلاد بالالتزام بها.

ولكان لتلك وغيرها من الاعتراضات القانونية والحقوقية أن يكون لها تداعيات فعلية في بلدان أخرى غير البحرين وشقيقاتها في مجلس التعاون الخليجي. فهذه الأخيرة تحكمها أنظمة من «طراز خاص» تستند شرعيتها الى مزيج بين متباعِدَيْن. أولهما الأعراف القبلية التي تكرس الغنيمة كأساس للشرعية، وثانيهما الدور الذي تلعبه هذه الأنظمة في إدامة الهيمنة الإمبريالية على المنطقة. فالإجراء غير القانوني الذي اتخذه وزير الداخلية في البحرين ليس طارئاً أو فريداً، بل هو يتسق مع رؤية جميع العوائل الحاكمة في بلدان مجلس التعاون لعلاقاتها برعاياها.

البحرين وشقيقاتها

لا تختلف نصوص القوانين السارية في بلدان مجلس التعاون الخليج في ما بينها كثيراً حول «شروط» نزع الجنسية من مواطن، سواء أكان أصيلاً أو مجنساً. إلا إن الدول الخليجية من دون استثناء لا تلتزم حتى بقوانينها. في بداية ٢٠٠٥، قرر أمير قطر سحب جنسية ما يقارب ستة آلاف شخص من قبيلة مُرّة. لم تنحصر صدمة ذلك القرار في انه جاء في صورة عقاب جماعي لم يستثن أحداً من أفراد تلك القبيلة، بل في أن تبعات ذلك القرار كانت شاملة. فلقد وجد آلاف القطريين أن تغيير وضعهم القانوني من مواطنين إلى أجانب يعني أن عليهم الحصول على رخص للإقامة في بلدهم، ويعني أن يُفصلوا من أعمالهم، وأن يُمنعوا من ممارسة بعض أنواع التجارة والمهن الحرة، ويعني أنه لم يعد بإمكانهم استلام حقوقهم التقاعدية أو الحصول على «الخدمات» المقررة للمواطنين، مثل الرعاية الصحية والتعليم، بما في ذلك قطع بعثات المبتعَثين الى الخارج من الطلاب.

وفي مثل هذه الأيام من السنة الماضية، أمر الشيخ خليفة بن زايد، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، بسحب الجنسية عن سبعة إماراتيين اتهموا بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين المحظورة، «لقيامهم بأعمال تهدد الأمن الوطني لدولة الإمارات». وبطبيعة الحال، لم يستفد السبعة المغضوب عليهم من التجائهم للقضاء على مختلف مستوياته. فبعد سنة كاملة من شكليات التقاضي، رفضت محكمة أبو ظبي الاتحادية الاستئنافية مجرد النظر في استئنافهم للقرار الجائر بحقهم.

وفي الشهر الماضي، أصدر الملك السعودي عدداً من المراسيم لمواجهة الاحتجاجات التي شهدتها المناطق الشرقية في المملكة. أحد تلك المراسيم يجيز سحب الجنسية من كل سعودي يشارك في الاحتجاجات، مع الحرمان من الاستفادة من أي عفو ملكي في المستقبل! وتناقلت مواقع التواصل الاجتماعي في السعودية خبر قيام السلطات بتذكير ثلاثمئة من النشطاء بهذا المرسوم.

ومع أن سجلات انتهاك حقوق الإنسان في الكويت أو عُمان لا تتضمن حالا جماعية لسحب الجنسية، إلا إن اقتصار سحب الجنسية في البلدين على حالات فردية لا يعني ان آثارها لا تطال مصير أطفال المواطن المغضوب عليه أو أفراد من عائلته. برغم اختلافها في الحيثيات وفي التفاصيل، إلا ان ثمة قاسما مشتركا بين هذه الأمثلة. فما يجمع قرار أمير قطر بنزع جنسية ٤ في المئة من مواطني بلاده، بتهديد السلطات السعودية بنزع الجنسية عن المشاركين في الاحتجاجات، أو نزع الامارات والبحرين جنسيات معارضيهما، هو أن جواز السفر ليس حقاً من حقوق المواطنة بل هو مكرمة من العائلة الحاكمة تمنحها لمن تشاء أو تنزعها ممن تشاء من رعاياها.

جواز السفر، استحقاق أم مكرمة؟

غيرت الطفرة النفطية منذ السبعينيات أموراً كثيرة في بلدان الخليج، من بينها تحويل جواز السفر إلى أداة هامة من جملة أدوات أخرى تستخدمها العوائل الحاكمة لتوزيع الريع النفطي. فقبل الطفرة، كان من السهل الحصول على جواز سفر عبر أحد شيوخ الإمارات الصغيرة (الفجيرة وأم القيوين وعجمان ورأس الخيمة). وقتها، كانت رسوم إصدار وتجديد جوازات السفر تشكل مصدراً هاماً من مصادر الدخل لأولئك الشيوخ. أما العوائل الحاكمة في البلدان الأكثر غنى، والتي لم تكن في حاجة إلى بيع جوازات سفرها، فكانت تستخدم إغراء التجنيس لاجتذاب أفراد القبائل في المناطق الحدودية والمشتركة، لإلحاقهم في قواتها المسلحة وأجهزتها الأمنية.

تغيرت الأمور تماماً منذ منتصف السبعينيات. فلقد أسهمت عائدات النفط في نمو غير مسبوق في الحركة الاقتصادية، بما فيها تأسيس الشركات المساهمة، وانتشار المضاربة في أسهمها، وارتفاع أسعار العقارات والأراضي، وتدافع المستثمرين الأجانب نحو السوق الخليجية، علاوة على اتساع الطلب على استيراد الأيدي العاملة الأجنبية. وفرت الطفرة النفطية فرصة لتكريس جواز السفر الخليجي كشهادة على «صفقة المقايضة الذهبية» التي روجت العوائل الحاكمة في الخليج لها: الثروة والسلطة للعائلة الحاكمة، وللناس المكرمات. فصارت الجنسية الخليجية، أو بالأحرى جواز السفر، مفتاح دخول نعيم الريع النفطي. لم يعد «الباسبورت» مجرد وثيقة لتسهيل حركة الناس عبر الحدود، بل أصبح وسيلة ضرورية للوصول إلى المنافع، إما عبر دخول حاملي جواز السفر مباشرة في مختلف أنشطة السوق، أو عبر «تأجير» جوازات سفرهم لآخرين. أسارع للإشارة إلى أن حصول حاملي جوازات السفر الخليجية على تلك المنافع كان يتفاوت بحسب معايير تتحكم في تحديدها وتطبيقها كل عائلة حاكمة. ولهذا، لم يكن متاحاً لأحد من المعارضين أن يتمتع بالميزات نفسها التي يتمتع بها الموالون، بحسب درجات ولائهم.

كانت القوانين السائدة وقتها تحصر المشاركة في هذه الأنشطة الاقتصادية في كل دولة خليجية على مواطنيها. ولهذا من الممكن الإشارة إلى عدد من العوائل، يتوزع الأشقاء أو أبناء العم فيها على جنسيات الدول الست. بل هناك عدد من بعض كبار رجال الأعمال الخليجيين من يحملون جنسيات خليجية متعددة في الوقت نفسه، بهدف تسهيل دخولهم المناقصات المقتصرة على حاملي جنسية دولة بعينها. وبسبب اشتراط «الشريك المحلي»، كان على المستثمرين الأجانب البحث عن شريك اسمي من مواطني الدولة التي ينوون الاستثمار فيها. وهكذا شهدت بلدان الخليج بروز ظاهرة «الواجهات» التي يختفي خلف كل منها المالك الفعلي لكميات كبيرة من أسهم الشركات عند تأسيسها، أو الذين تُسجل بأسمائهم تأشيرات العمل لمئات العمال الأجانب. كما شهدت بلدان المنطقة آلافاً ممن اعتاشوا على دخولهم كشركاء اسميين لأصحاب أعمال أجانب مقابل عمولة مقطوعة أو جارية.

من مكافأة الولاء إلى معاقبة المعارضة

لم تعد جنات الريع النفطي على ما كانت عليه في أوج الطفرة النفطية، فلقد تآكلت العوائد المالية جراء استشراء الفساد وسوء التخطيط والإدارة، علاوة على صفقات التسليح البليونية، وانخراط العوائل الحاكمة في الخليج في تمويل عدد من الحروب والنزاعات الإقليمية طوال العقود الأربعة الماضية. وانعكس كل ذلك في عدد من الهزات المتتالية التي أدت إلى انفجار الفقاعات الاستثمارية في جميع بلدان الخليج، وخاصة في أسواق الأسهم والعقارات. مثال على ذلك ما يقال له «أزمة دبي»، الإمارة التي كانت قبلها براقة، تبدو كأنها ترتع في وفرة وبذخ خياليين، وكذلك أزمة العجز في الميزانية السعودية في بداية الألفية الثالثة والتي استمرت عدة سنوات وأدت إلى ارتفاع ديون الدولة الداخلية والخارجية إلى عدة مليارات. كما انعكس في تخفيض الحصص المخصصة في الميزانية العامة للخدمات الاجتماعية، بما فيها الصحة والتعليم. بدورها، ساهمت اشتراطات دخول بلدان مجلس التعاون في منظمة التجارة العالمية وعقد اتفاقيات التجارة الحرة مع الولايات المتحدة الأميركية في تقليص الميزات الاستثمارية التي توفرها الجنسية الخليجية لحامليها. فلم يعد لجواز السفر الخليجي أهميته في إدامة مقايضة ذهبية ضمنت طوال أربعة عقود استقرار البلدان الخليجية رغم الهزات التي أصابت محيطها. ولم يعد جواز السفر وسيلة كافية للوصول إلى نعيم الريع. إلا إنه لم يفقد دوره السياسي، على الأقل في جهتين، أولاهما ترتبط باستمرار «التجنيس الجماعي» للمجندين المستجَّلين من بلدان الجوار لتأمين التوسع المستمر في المؤسستين العسكرية والأمنية في جميع بلدان مجلس التعاون الخليجي. وثانيتهما تخص نزع الجنسية أو التهديد بنزعها عن حامليها. فكما رأينا في قطر والامارات والسعودية والبحرين، صار التهديد بعدم تجديد جواز السفر ونزع الجنسية إحدى أدوات ضبط الأمن ومعاقبة من تعتبرهم السلطات ناكرين لجمائلها.

يشكل تزامن حالات التجنيس الجماعي مع حالات نزع الجنسية الجماعي ما يشبه إشهارا رسميا لتلك الفكرة القائلة ان العوائل الحاكمة الخليجية لا تعتبر الجنسية حقاً لمواطني بلدانها بل هي منحة تنعم بها عليهم وتحتفظ لنفسها بالحق في التصرف بها، إغداقاً وحرماناً. إلا إن هذا الإشهار الرسمي ليس علامة عنفوان وقوة.

تقف العوائل الحاكمة في بلدان مجلس التعاون الخليجي في مواجهة منعطف تاريخي معاكس لما خبرته منذ بداية الطفرة النفطية قبل أربعين سنة. فلم تعد ثمة إمكانية مالية أو سياسية لإعادة الحياة للمقايضة الذهبية. ولهذا تواجه العائلات الحاكمة في بلدان المجلس كافة، أزمة شرعية تتفاوت حدتها من بلد لآخر. لكنها جميعاً تقف، للمرة الأولى، أمام حقيقة انها لا تمتلك قدراتها السابقة على استخدام الريع النفطي للتحكم في رعاياها ولإعادة تشكيل مجتمعاتها. فلقد زاد حجم الالتزامات الخارجية لهذه البلدان بما في ذلك التزامات تفرض الاستمرار في تدوير جزء كبير من عوائد النفط عبر الإيداع في المصارف العالمية، وعبر الاستثمار الخارجي، وعبر استيراد السلاح من الدول الغربية، علاوة على الالتزامات الإضافية التي تفرضها مساعي عدد من الدول الخليجية لاحتواء تداعيات الانتفاضات الجارية في العالم العربي.

أمام هذا المنعطف التاريخي، تجد العوائل الحاكمة نفسها أمام خيارات محدودة، جميعها مرتفع الكلفة السياسية وغير مضمون العواقب. ولهذا نراها تتخبط وتتخذ قرارات تزيد من تفاقم الأزمة البنيوية التي تعيق تحول بلدان مجلس التعاون الخليجي من تنظيمات سياسية/قبلية إلى دول تنتمي إلى القرن الواحد والعشرين.

عبد الهادي خلف

استاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند ـ السويد، وواحد من ٣١ شخصية بحرينية «أسقطت» السلطة في البحرين جنسيتهم بسبب نشاطهم السياسي والفكري المعارض

المتفرّج أمام نجمه المفضّل

في ساحة «جامع الفْنا» وسط مراكش، وقف عشرات آلاف المتفرجين أمام المنصة المشادة للاحتفال بنجوم السينما الهندية الذين جاؤوا للمغرب بمناسبة المهرجان الدولي للفيلم، في دورة ٢٠١٢. كانت الأجواء باردة جداً، بل وممطرة أحيانا. ومع ذلك وقف عشاق الأفلام الهندية لساعات بصبر وحماس. ما الذي يجعلهم يتحملون كل هذه المشقة؟

قبيل الإجابة، ضبطتُ نفسي متلبسا بتراجع إعجابي بالسينما الهندية مع تقدمي في السن، بينما كنت أنوي الكتابة عنها كما شاهدتها أول مرة، حين بكيت أثناء متابعة فيلم «دوستي» (صداقة). أريد أن أكون وفيا لمرحلة مراهقتي. لذا، وقبل توجهي لمتابعة الاحتفاء بالسينما الهندية، وضعت وعيي النقدي في الخزانة الحديدية في الغرفة الفاخرة بفندق يعقوب المنصور الذهبي. بذلك تخلصت من وعيي الشقي الذي اكتسبته بسبب مطالعتي لأساتذة الشك مثل ماركس ونيتشه وفرويد. ما أن أودعته الخزانة وأغلقت عليه برقم سري، حتى استعدتُ فرحي الرومانسي كما في الأفلام الهندية، وصار بإمكاني أن أرى بمنظارعشاق شاروخان... وأؤمن بأن المشاهير هم آلهة العصر.

وقفت قرب المنصة لفحص صفات النجم ودوره حين يظهر لعشرات آلاف معجبيه، الذين قدموا من مدن بعيدة ومن أحياء متوسطة وفقيرة، ووقفوا ينتظرون في جو ممطر لا تتجاوز حرارته الست درجات. ينتظرون أن يهل عليهم نجمهم. يتبادلون التعليقات عن أفلامه. كثيرون يربطون الدخول لقاعة السينما بأول موعد غرامي لهم. ومنذ ذلك الحين تماهى الشاب مع شاروخان وتماهت الشابة مع البطلة. ومع هكذا مزاج، فمن السهل أن ترتفع صرخات الإعجاب حين ظهر الممثل الكبير على المنصة.

يرونه محبوبا كريما متواضعا... تنسب للنجم صفات تقرّبه من الكمال. وهو قدوة مربحة، فعندما يشتهر شخص، يصير نجما يتوفر له فائض قوة يمكّنه من التأثير. حينها تتقدم الشركات لتشتري تأثيره. تعمد الهيئات السياسية لاستخدام النجوم في دعايتها الانتخابية لأنهم يتمتعون بما يسميه الناس «القبول». وقد شكلت توبة فضل شاكر إنجازا إعلاميا للسلفيين. حتى المنظمات الدولية توظف سحر النجوم، كثيرون لم يعرفوا موقع اللاجئين السوريين إلا بعد أن زارتهم أنجيلا جولي وبكت.

هكذا صارت صناعة النجوم مدرة للربح، ويحظى لبنان بالسبَق في هذا المجال رغم توقف أنجح برنامج وهو «هزي يا نواعم خصرك الحرير». وقد اخترع التلفزيون برامج المسابقات بكثافة وهي تحظى بدعم قوي من الشركات. عادة يَصنعُ العمل الطويل الشهرة: غنت أم كلثوم سنوات طويلة قبل أن تصير مشهورة، وكتب نجيب محفوظ سنوات أطول. الآن تُسرّع المسابقات صناعة النجوم. مسابقات الاستعراض والغناء هي الأكثر فعالية. عيب هذه الشهرة أن نجومها يلمعون بسرعة وينطفئون بسرعة. هكذا ظهر النجم الذي تفرزه المسابقات المتتابعة والذي يستخدم لمرة (لو صح التعبير، أي «jetable» أو «disposable»). وهو يكاد يجن حين تتوقف وسائل الإعلام عن متابعته.

وهذا التجديد مفيد للتلفزيون، وقد أدرك معدو الخطوط التحريرية في القنوات الفضائية أن الناس تعبوا من أخبار الحروب، وهم يحتاجون للطراوة، للحب والرقة. وهذا ما يجدونه لدى النجوم الحساسين. ودخلت شركات الاتصال على الخط تطرح صور الفنانين مرفقة بأسئلة غبية مثل «مَن صاحب الصورة؟»، وتتم الإجابة عن تلك الأسئلة برسائل نصية ثمنها مضاعف. هكذا يخضع النجم لقانون السوق ويصير معجبوه زبائن يدفعون لإشباع شوقهم. وكلما دخل النجم السوق وزادت أرباحه، فسّر ذلك بأنه متفوق وموهوب يستحق «البريستيج». صارت الشهرة تطابق الموهبة... بمعنى أن كل مغمور لا موهبة له.

غير أن لهذه الشهرة ثمنا، فالنجم نجح وصار قدوة بعد تحمله لمصاعب الطريق الذي قاد للشهرة. وهي مصاعب تطلبت تدمير الصحة والحياة الشخصية. فللحفاظ على قوامها، تؤخر النجمة الإنجاب لكي لا يتدلى بطنها. وتجري عشرات عمليات التجميل ليتناسب أنفها مع معيار الجمال السائد. ويقال أن هيفاء تطلقت بسبب «نجوميتها» داخل البيت... وبسبب هوس النجومية في العصور الحديثة، صارت ولادة النجم عسيرة. فبما أن الأماكن على المنصة قليلة، فالمنافسة شرسة للحصول على الموقع الأول. ليس في السماء قمران، وكذلك ليس في عرض البطولة إلا دور واحد، سيحصل عليه الأفضل، الذي يدفع أقصى ما يستطيع من لحمه وروحه. وعليه ليحتفظ بالنجومية أن يغذي المروية (Storytelling) خاصته بشكل دوري: فكل شهر خبر جديد عن حبه وزواجه وإشاعة طلاقه ثم عن طلاقه الفعلي وتفاصيل أخرى عن حياته بأفراحها وأتراحها. الشهرة هي أن تمنع الناس من نسيانك، وتوفير ذلك ليس سهلا.

يدرك عشاق النجم أنه ضحى ليصبح شهيرا، وهم يتعاطفون معه من اجل التضحية التي قدمها من أجلهم. لقد فعل ما لا يستطيعون، فهو معروف وهم نكرات، هم عاديون وهو متميز. هم ناقصون بينما النجم كامل. هم عابرون بينما هو دائم، فمن يشتهر يدوم، يخلد. والشهرة هي المرحلة العليا للسعادة والنجاح.

من يريد أن يكون عاديا ونكرة اليوم؟ لا أحد. وكل من يحصل على صورة أو توقيع من نجمه المفضل يكون قد نال من قبس النجومية، وعبر من العادي إلى الاستثنائي.

لتحقيق ذلك، يتزاحم المعجبون للمس يد شاروخان. يد النجم المطلق الذي دافع عن الإسلام في فيلم «إسمي خان»، وهو ناجح نظرا لميزات الوصفة التي تقدمها الأفلام الهندية، رومانسية متخففة من لعنة أساتذة الشك، يتماهى فيها المتفرج مع بطل الفيلم العاشق المنحدر من وسط فقير، ومع ذلك يحصل على أجمل فتاة. وصفة تحقق العدل في آخر الفيلم. فالأشرار يُهزمون. وهذا يرضي تعطش المتفرج للعدالة في واقع ظالم... يبدو أن وعيي النقدي هرب من خزانة الفندق. وقبل أن يفسد بهجتي، فإليكم هذا التمرين في التفاهم والحب في الموعد الغرامي الأول لأي شابين: يمثّل الموقف النقدي من فيلم معين، إشارة لمستقبل علاقة عاشقين يضربان أول موعد لهما في السينما. فإن اتفقا في موقفهما من الفيلم، وفي تفسير أحداثه، فمستقبل العلاقة العاطفية سيكون زاهرا!

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

حفلة شاروخان في مراكش

تكتيك

الرئيس المصري يتخبط، يقرر أمراً ثم يعود عن أجزاء منه، ويفاوض على أجزاء أخرى، ويتمسك بثالثة، وهكذا. تلك كانت الخاصية الأبرز على امتداد الأشهر الستة التي انقضت منذ انتخابه. وقد أدى هذا المسلك المتكرر الى تعزيز حدة الصراع في مصر، لأنه يستحث تعريفاً قدراً عالياً من الضغوط المتقابلة. وزاد في الأمر أن الرئيس المصري يهوى المفاجآت والسرعة، ما يضاعف من استفزاز الخصوم. والمحصلة أن الانقسام في المجتمع المصري وصل إلى الذروة، وهو مصحوب بقدر من العنف الدموي، ومن طغيان التحدي.

وتلك ليست ملامح مرحلة انتقالية انطلقت مع سقوط مبارك، غايتها حمل البلاد خارج عقود متعاقبة من القمع والفساد والافقار والتيئيس. فالمرحلة الانتقالية، لكي تنجح، تستند إلى أوسع تحالف توافقي بين القوى السياسية والاجتماعية في البلاد، المناهضة للنظام الذي جرى الانقلاب عليه. بينما ما نراه هو نقيض ذلك.

ولكن هل يتعلق الأمر بالتخبط، أي بانكشاف مدى افتقاد الإخوان المسلمين لتصورات خاصة بهم تتعلق بالمطلوب اقتصادياً واجتماعيا وسياسيا للخروج من الميراث الخَرِب للنظام السابق، فإذا بهم يقومون باستنساخ وصفات ذلك النظام، كاللجوء إلى الاقتراض من صندوق النقد الدولي، والالتزام بشروطه المقابلة للقرض، وعلى رأسها إلغاء الدعم عن مواد أساسية وفرض المزيد من الضرائب على السلع... وهو القرار الذي عاد الرئيس مرسي فعلّقه منذ يومين، بعد يومين من اتخاذه، لمزيد من شرح ضرورته للناس! لا يجادل أحد في الوضع الكارثي لمصر. ولكن ذلك لا يُحَل بحرف الأنظار عن المسائل الرئيسية (الجوع والصحة والسكن والتعليم والبطالة...) نحو عناوين ومهاترات تتسم بالديماغوجيا. فلو قُدِّمت للناس خريطة طريق واضحة تخرجهم مما هم فيه ولو بعد سنوات، ولو بُرهن لهم أن المزيد من التقشف سيؤدي الى الفرج، لتحملوا، ولحدثت معجزات. ولذا، فالتخبط المشهود ليس مجرد قلة خِبرة عابرة، بل هو علامة على محاولات «تقطيع» الوضع الصعب بواسطة سلسلة من التكتيكات والتشاطر. فإما أن الأمر مجرد تمرير التغيير في طاقم السلطة، وإما انه تغيير لنهج في إدارة البلاد. والاشتراطات ليست متشابهة. والمفارقة انه كلما انكشف عدم تهيؤ الاخوان المسلمين للحكم (بهذه المواصفات)، كلما ازداد تمسكهم بالسلطة بأسنانهم!

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

٨,٥ ملايين مغربي يعانون من الفقر، ويمثل الفقر في الأرياف نسبة أعلى بثلاث مرات من نظيره في المدن. وبحسب البنك الدولي، فإنّ ٨٠ في المئة ممن يعانون الفقر في الريف المغربي ليس لديهم أي إمكانية للحصول على فرصة عمل مقابل أجر. ولا يغطي نظام الضمان الاجتماعي في المملكة سوى ثلث السكان النشطين في سوق العمل.

المياه في اليمن: استراتيجيات لا تروي عطشاً

تقع اليمن حاليا تحت خط الفقر المائي، فنصيب الفرد الواحد لا يتجاوز ١٢٧ مترا مكعبا في السنة. كما تعاني من الاستخدام والضخ المفرطين للمياه الجوفية، حيث يقدر معدل استنزاف المياه بحوالى ١٣٨ في المئة من المياه المتجددة سنويا، والتي تقدر بنحو ٢,١ مليار متر مكعب سنويا. هذا ما تقوله حكومة الوفاق الوطني في برنامجها المرحلي للاستقرار والتنمية للأعوام ٢٠١٢ – ٢٠١٤. مقابل ذلك، يصل نصيب الفرد من المياه إلى ١٢٥٠ مترا مكعبا في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، في حين يصل إلى ٧٥٠٠ متر مكعب كمتوسط عالمي.

وتواجه الحكومات اليمنية أزماتها بصنع استراتيجيات لا تجد طريقا للتنفيذ، حتى غدت الجملة المألوفة «لكل مشكلة حل» تقرأ في اليمن بجملة «لكل مشكلة استراتيجية»، في حين ينتقل الواقع من سيئ إلى أسوأ. لمكافحة الفقر «استراتيجية» في اليمن، ومقابل ذلك يشير تقرير حديث للبنك الدولي إلى زيادة معدلات الفقر فيها، حيث ارتفعت من ٤٢ في المئة من عدد السكان في ٢٠٠٩ إلى ٥٤,٥ في المئة في ٢٠١٢، خاصة في المناطق الريفية التي يقطنها حوالى ٧٣ في المئة من السكان و٨٤ في المئة من الفقراء. ولمكافحة الفساد «استراتيجية» أيضا في الوقت الذي تشير منظمة الشفافية الدولية إلى تراجع اليمن سنويا في مجال مكافحة الفساد. والشأن نفسه في قضايا عديدة. الاستراتيجية الوطنية والبرنامج الاستثماري لقطاع المياه (٢٠٠٥ – ٢٠٠٩) واحدة من تلك الاستراتيجيات التي تظل معها اليمن مهددة بكارثة نضوب المياه.

إحصائيات

تقول الحكومة إن استنزاف المياه لا يعكس أثراً متساوياً ومنتظماً بين الأحواض والمناطق المائية كافة، حيث تتعرض بعض المناطق لدرجة أكبر من الاستنزاف تصل إلى ما بين ٢٥٠ – ٤٠٠ في المئة، مثل أحواض محافظات تعز وصعدة وصنعاء وأبين – تبن. وتعكس الدراسات ارتفاع فجوة الموارد المائية إلى ٩٠٠ مليون متر مكعب في عام ٢٠٠٠. وتصبح المشكلة واضحة عندما يتبين أن أكثر من ٩٠ في المئة من استهلاك المياه يستخدم في الزراعة، وأن جزءاً كبيراً منها يعكس كفاءة ري دون ٤٠ في المئة. ويقدر نمو الاحتياج من الموارد المائية إلى ٣,٥٢١ ملايين متر مكعب في عام ٢٠١٠ مع انخفاض نصيب الزراعة إلى ٢,٨٦٩ مليون متر مكعب نتيجة تحسن كفاءة الري إلى ٧٥ في المئة، مقابل زيادة نصيب الاستخدامات المنزلية والأغراض الأخرى إلى ٥٦٣ مليون متر مكعب و٨٩ مليون متر مكعب على التوالي، مما يوسع الفجوة لتصل إلى ٩٢١ مليون متر مكعب سنوياً.

مشاكل ومعوقات

حسب تقرير عن انجازات وزارة المياه ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨، فإن أبرز المشاكل والمعوقات في مجال المياه والبيئة يكمن في «شح موارد المياه واستنزاف الخزانات الجوفية والعجز المائي المتزايد، والنقص في الاعتمادات المالية الكافية لتنفيذ المشاريع بحسب الاحتياج، واستنزاف الأحواض المائية في صنعاء – عمران – صعدة – رداع – رسيان – تهامة – أبين – تبن، والحفر العشوائي لآبار المياه واستنزاف المياه الجوفية والتعدي على حرَم حقول مياه الشرب، والقصور في تنفيذ التشريعات المنوطة بالمياه، والتعدي على صلاحيات هيئة الموارد المائية، وقيام بعض المجالس المحلية بإصدار تراخيص الحفر من قبلها، ووجود مقالب القمامة داخل أحواض وحقول المياه، إضافة إلى مديونيات كبار المستهلكين والأوقاف، مما أثر على قدرة مؤسسات المياه على الوفاء بالتزاماتها وعلى تطوير وتحسين خدماتها.

القات مشكلة إضافية

يمثل القات – وهو نبات أخضر منشط يتناوله معظم اليمنيين – مشكلة رئيسة في اليمن، حيث تبين الإحصاءات الحكومية تزايد المساحات المزروعة بالقات لتشكل حوالى ٩ في المئة من إجمالي المساحة المزروعة في عام ٢٠٠٠، بزيادة ٣٥.٣ في المئة عن عام ١٩٨٩. كما يذهب ٣٠ في المئة من جميع المياه المستخدمة في مجال الزراعة إلى زراعة القات.

وفي حين ترتفع تكلفة إنتاج هكتار القات المروي بنسبة ١.٤ عن البن، و١.١ عن العنب و٢.٣ عن الذرة الشامية، فإن العائد الصافي لهكتار القات يعادل ١٦.٢، ١٣.١، ٧٤.٤ ضعفاً على التوالي قياسا بعائد تلك المحاصيل. وتقدر زراعة القات بحوالى ٥٨ مليار ريال في عام ٢٠٠٠ بما يعادل ٦.٣ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي، و٣٠ في المئة من ناتج قطاع الزراعة.

وبشأن زراعة القات، فإن الاحتياج المائي للهكتار الواحد يتراوح بين ٦٠٠ متر مكعب في السنة إلى حوالى ١٢ ألف متر مكعب. ويرتبط تأثير القات على البيئة بالإفراط في استخدام المبيدات والأسمدة الكيماوية الذي يؤدي إلى تراكم متبقيات المبيدات والأسمدة في التربة والمياه السطحية والتأثير على الكائنات الحية.

آثار كارثية

في حين تعيش محافظة تعز أزمة مائية مستديمة حيث تصل فترة انقطاع المياه عن منازل الأهالي إلى شهرين أحيانا، فإن العاصمة صنعاء هي الأخرى معرضة للجفاف حيث انخفض منسوب المياه الجوفية في المدينة كثيرا عن المستويات المستدامة، بسبب الانفجار السكاني، والافتقار إلى إدارة الموارد المائية، وبسبب الحفر العشوائي. فقد كان منسوب المياه في صنعاء تحت مستوى سطح الأرض بنحو ٣٠ متراً في سبعينيات القرن الماضي، ولكنه انخفض الآن إلى ١,٢٠٠ متر في بعض المناطق.

ونتيجة لعدم الحصول على إمدادات المياه المحسنة في اليمن ككل، انتشرت الأمراض التي تنقلها المياه على نطاق كبير. من ذلك انتشار أمراض حمى الضنك والإسهال والكوليرا بمعدلات مثيرة للقلق في المناطق الريفية التي تعاني من محدودية الوصول إلى المياه النظيفة. ففي عام ٢٠١١ أصيب أكثر من ٣٠,٠٠٠ يمني بالإسهال المائي الحاد.

في دراسة بعنوان: «أهمية الإدارة المتكاملة في تحقيق الاستخدام المستدام للموارد المائية في اليمن» يقول الدكتور عبد النور علي جازم غانم «إن تنامي التنافس على موارد المياه المحدودة في المستقبل سيؤدي حتماً إلى إعادة توزيع الحصص السائدة في الوقت الراهن وفقاً للأولويات. وهذا يعني ان الحصة الحالية للقطاع الزراعي والبالغة حوالى ٩٠ في المئة ستتقلص حتماً في المستقبل لتلبي احتياجات القطاعات الأخرى التي يقع على رأسها قطاع الاستهلاك المنزلي، وهذا حتماً سيؤدي إلى حدوث أزمات اجتماعية تهدد الاستقرار الاجتماعي».

وذكر تقرير نشرته شبكة الأنباء الإنسانية (إيرين) أن «اليمن يواجه اليوم عدداً كبيراً من التحديات، ومن المؤسف أن العنف الاجتماعي بسبب الأرض والمياه لم يتلق سوى اهتمام قليل نسبياً على الرغم من اتساع نطاق تأثيره على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعدد كبير من المواطنين اليمنيين، وتسببه بآلاف الوفيات كل عام». وحسب التقرير نفسه: «يتفجر معظم هذا العنف في المناطق الريفية حيث يضعف نفوذ الحكومة المركزية، موديا بحياة أكثر من ٤,٠٠٠ شخص سنوياً، وفقاً لوزارة الداخلية. ولا يشمل هذا العدد نسبة كبيرة من الحالات التي يتم التعامل معها من خلال القانون القبلي».

معالجات؟

حسب تقرير عن انجازات وزارة المياه ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨، فإن أبرز انجازات الوزارة تمثل في إقرار خطط واستراتيجيات تتعلق بالإدارة البيئية والاستدامة البيئية والوقود النظيف، والتنوع الحيوي، ومنح وتنظيم تصاريح حفر الآبار، تنفيذ الدراسات الميدانية لتحديد حرم حقول المياه في عدد من المحافظات الجمهورية، الرصد الدوري لجودة ونوعية المياه الجوفية في مناطق الأحواض، إضافة إلى تنفيذ مشاريع عديدة منها حفر آبار مياه وإقامة حواجز مائية.

وفي نهاية أيلول / سبتمبر الفائت، نظمت وزارة المياه والبيئة «الملتقى الوطني للمياه» بهدف مناقشة الأجندة الوطنية للمياه وحشد الدعم والتأييد لحصول قضية المياه على الأولوية المناسبة في برامج الحكومة، وباتجاه التحضير لعقد مؤتمر وطني عام للمياه لجعلها واحدة من قضايا مؤتمر الحوار الوطني المزمع عقده نهاية العام الجاري.

أحمد الزكري

كاتب صحافي من اليمن

الأردنيون: عابسون واقعياً ساخرون رقمياً

لا يمتلك الاردنيون القدرة على الضحك، عابسون هم، عاقدو الحاجبين، تعلو ملامحهم كشرة أصبحت لطول مقامها سمة للدلالة عليهم، هكذا عندما يعبرون عن انفعالاتهم على أرض الواقع، حتى في أكثر الأوقات فرحاً.

غير أنهم يختلفون في العالم الرقمي، فيظهرون على مواقع التواصل الاجتماعي فايسبوك وتويتر ساخرين، مرحين وضاحكين حد الانفجار، حتى وهم يعبرون عن اكثر قضاياهم السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية إيلاماً.

الشعب الموسوم بالكشرة وجد نفسه في المرتبة الثانية عربيا، والسابعة والعشرين عالميا كـ «أسعد خلق الله» في الاستطلاع الدولي، الذي أجرته مؤسسة الاقتصاد الحديث وأعلنت نتائجه في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٢. الاستطلاع ليس مفاجئاً وإن أثار بعض الاستهجان.

كشرة الأردنيين ليست دليلاً على الكآبة كما يُعتقد، وانعكاسها الضاحك في العالم الرقمي ليس دليلاً على إصابتهم بمرض الشيزوفرينيا. الكشرة جزء من الفهم الخاص للرجولة التي تُعلي من قيمة الهيبة، الجدية والقسمات الحادة. وعليه فان الصورة النمطية للشخصية الاردنية تفرض ان تكون الابتسامة حدثاً استثنائياً يقع عندما تقتضي الضرورة الملحة فقط.

غير ان العالم الرقمي كسر هذا التنميط في الشخصية الأردنية، وان كان الضحك هنا يندرج في السخرية السوداء في غالب الاحيان، التي تترك رغم ذلك ابتسامة عميقة.

السخرية انطلقت مع انطلاق الاحتجاجات في الاردن مطلع العام ٢٠١١. وكان السر كلمتي عزيزتي وعزيزي اللتين تسبقان غالبية الادراجات والتغريدات الاحتجاجية التي بثت عبر موقعي التواصل الاجتماعي فايسبوك وتويتر.

ظهرت شعارات: «عزيزتي الحكومة، بالنسبة لزيادة الاسعار نصرف عليكم مثلاً»، و «عزيزتي الحكومة... بدك تشلحينا أواعينا (ثيابنا) مثلا»، و «عزيزتي الحكومة، بخصوص موضوع ارتفاع أسعار المحروقات... قاموس الحكومة خالٍ من الانخفاض مثلاً»، و«عزيزي الصامت، الله خلقك بدون لسان مثلاً» الشعارات الساخرة رقمياً وجدت انعكاساً واقعياً لتصبح حديث الشارع. ساعد في ذلك تنامي عدد المشتركين بشبكات التواصل الاجتماعي، اذ تجاوز عدد مستخدمي موقع الفايسبوك في الاردن ٢.٣ مليون شخص، فيما بلغ عدد مستخدمي تويتر ٦٠ الفاً، وذلك في نهاية النصف الأول من العام ٢٠١٢ بحسب احصائيات رسمية.

«عزيزتي» و«عزيزي» كانتا مبتدأ حملات السخرية التي طالت حتى الدعوة لمسيرة احتجاجية، فحث الناشطون عبر مواقع التواصل الناس على المشاركة في المسيرة التي تنطلق بشكل شبه أسبوعي من أمام المسجد الحسيني – أقدم مسجد في وسط العاصمة عمّان – بمقولة مأثورة ينسبونها إلى الشاعر الإسباني غارسيا لوركا، تزعم أنه قال: «لا بد من النزول إلى الحسيني»، وعن رينيه ديكارت: « أنا أحتج إذاً أنا موجود».

المسؤولون الحكوميون اصبحوا المادة الرئيسية للنقد والضحك، فما ان يصدر عن احدهم تصريح حتى يتم تحويره بشكل ساخر.

الناطق باسم الحكومة الاردنية سميح المعايطة اسند له لقب وزير النفي، اصبح الوجبة الرئيسية على مائدة الفضاء الالكتروني، فنفى الاردنيون على لسانه ارتفاع الاسعار بعد صدور قرار حكومي برفعها، وحل مجلس النواب بعد صدور إرادة ملكية بحله، وجود اللاجئين السوريين الذين يتدفقون يومياً، وقفزة فيلكيس في الفضاء التي بثتها مباشرة شاشات التلفزة، وأخيرا نفوا على لسانه وجود الاردن.

لغايات الضحك والسخرية انشأ الاردنيون مئات الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي تبث النكات سواء أكانت هادفة أو لم تكن، التي تتبعها العديد من الابتسامات، لكنها تبقى للآن اسيرة العالم الرقمي ولا تصل شفاه الاردنيين الذين يصرون على الكشرة والعبوس... حتى وهم يرددون النكات بينهم.

محمد الفضيلات

صحافي من الأردن

مواقع

شريكة / صديقة

«الجمهوريّة» للتفكير بسوريا الجديدة

الجمهورية لدراسات الثورة السورية

في خضم ولادة موجة المواقع الالكترونية السورية الجديدة، أكانت صحفاً إلكترونية أم مشاريع مراكز أبحاث أو مواقع إخبارية، يبرز موقع «الجمهورية لدراسات الثورة السورية» كأحد أبرز العناوين بالنسبة للمهتمين بالشأن السوري من زاوية الانحياز للمعارضة. نجاح أوّلي ساهم فيه بشكل كبير واقع أن من بين مؤسسي الموقع، أسماء ناشطة جداً في إطار الكتابة والتنظيم والنقاش حول كل ما يتعلق بالأحداث السورية منذ بدئها قبل أقل من عامين، من أبرزهم ياسين الحاج صالح وياسين سويحة ونائلة منصور وكرم نشار وإياد العبد الله وجلال عمران.

«الجمهورية» أكثر من موقع إلكتروني وأقل من مركز دراسات، على الأقل حتى الآن. وبحسب تعريف القيمين على الموقع لمولودهم، فإنّ «الجمهورية هي مجموعة لا حزبية لا ربحية أسسها كتاب وباحثون سوريّون منضوون في الثورة السورية بهدف تقديم إنتاج فكري يساهم في بناء سوريا الجديدة (...) من خلال نشر دراسات وأبحاث مراجعة عن سوريا والثورة السورية (...) وتقديم رؤى وأطروحات فكرية تساهم في التفكير في الثورة وما يتصل بها من قضايا ومشكلات».

أبرز زوايا الموقع الالكتروني، فقرة «أوراق»، التي تتضمن دراسات من الحجم الوسط والصغير، يكتبها إما مؤسسو الموقع، أو ينقلونها إلى العربية من مصادر أجنبية. ومثلما هو متوقّع، فإنّ الحدث السوري يهيمن على معظم أوراق ودراسات «الجمهورية» التي لا تخشى الخوض في مناقشة عناوين ظلت طويلاً أقرب إلى «التابوهات»، كالطائفية والمذهبية مثلاً، وذلك بلغة رصينة وأكاديمية. ولا تتضمن خانة «تقارير» حتى الآن سوى تقريراً واحداً صدر في ٢٨ آذار الماضي لتقييم العام الأول للانتفاضة السورية، وهو مؤلف من ١٢ صفحة من القياس الكبير، بعنوان: «الأسد أو لا أحد»، ضد «الشعب يريد إسقاط النظام!».

في أوساط الناشطين المعارضين، يُعتبر الموقع المذكور أساسياً نظراً لطبيعته الرصينة والواضحة سياسياً إلى جانب الانتفاضة السورية، خصوصاً انّه لا يمارس الدعاية السياسية، بدليل توفر المقالات النقدية المحذرة من أخطاء الثورة ومن تجاوزاتها ومن المخاطر التي تتهددها من داخلها ومن خارجها.

تتوفر في العديد من التحقيقات الصحافية الحصرية بالموقع عناصر التميز. ومن العناوين اللافتة في هذه الزاوية: «الوضع الإغاثي في الرقة»، «عن تبعات انتخاب مرسي على دور مصر في الثورة السورية»، و«حول وحدة المعارضة السورية». أما زاوية «شهادات»، فهي تتضمّن نصوصاً لأشخاص شاهدوا أو عايشوا أحداثاً سورية رئيسية، كمجازر بابا عمرو وأعزاز...

وفضلاً عن خانات «تقارير» و«أوراق» و«تحقيقات»، يجد الزائر زاوية باسم «أفكار» تتضمن عشرات المقالات العربية أو المترجمة.

إلا أنه، لا مكان لأفلام الفيديو أو المادة السمعية والبصرية ولا حتى للمادة الخبرية في «الجمهورية». الخدمة بالانكليزية لا تزال فقيرة مع وعد القيمين على الموقع بالعمل على تطويرها. وعلى أمل تحقيق الوعد، يبقى الموقع سورياً عربياً حصراً.

http://www.therepublicgs.net/

فكرة

محمد بن الذيب العجمي

في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر الماضي، ظنّ الشاعر القطري محمد بن الذيب العجمي أنّ تمويل ودعم دولته قطر لعدد من الانتفاضات العربية، قد يكون مؤشراً إلى نيّة في إرساء حرية ما في الإمارة الخليجية. لم يفهم الرجل أنّ استثناء انتفاضة البحرين وتحركات المنطقة الشرقية في السعودية من نعمة التغطية المباشرة لفضائية «الجزيرة» مثلاً، وتضامن الدوحة مع المنامة ضدّ غالبية الشعب البحريني، يؤكّد المؤكّد: العقل السياسي الخليجي الرسمي هو نفسه في سائر دول المنطقة من ناحية حكم البلد بمنطق المُلكية الخاصة، وتوزيع الريع مقابل عدم الاقتراب من النشاط في الشأن العام، والتكرّم بالمنّ للرعايا، لا التسليم بالحقوق للمواطنين.

قطر، تلك الدويلة التي تسعى لسرقة النجومية الخليجية في السياسة والاقتصاد من جارتها السعودية، والمصابة بداء العظمة، سجّلت قبل أيام عاراً صدّقت عليه سلطاتها القضائية: حُكم قضائي جاء بسطرَين، قضى بالسجن المؤبَّد بحق الشاعر محمد بن الذيب العجمي، وكل ذلك في غضون جلسة لم تدم أكثر من خمس دقائق. «التهمة»: تلاوة العجمي قصائد تتضمّن تعريضاً بأمير الدولة وزوجته، فوراً بعد تأدية قصيدة بعنوان: «الياسمين التونسي» تحيّة منه لما بدأ في ذاك البلد وتمدّد إلى حيث تمدّد. أيّد الرجل الثورة التونسية وسخر من أمير قطر، وهو ما يعني أنّه «دعا إلى تغيير النظام في قطر». هكذا ورد في متن الحكم، لذلك جاء القرار بالسجن المؤبد، علماً انه لكان حُكم بالسجن خمس سنوات كحدّ أقصى لو انه تم الاكتفاء بمحاكمته بتهمة «الطعن في ممارسة الأمير لحقوقه وسلطاته، أو عاب في ذاته». الفوبيا القطرية مستفحلة، فسُجِّلَ اعتقال دام لساعات بحق شاعر سعودي تجرّأ على زيارة صديقه العجمي في زنزانته.

طبعاً، لم يجد الخبر مساحة كبيرة في معظم وسائل الإعلام العربية، اللاهثة خلف التمويل الخليجي، أو الساعية لعدم إغاظته. اقتصر الأمر على تعليقات وإدانات منظمات حقوقية عربية وإقليمية، مع توقع أن يهتمّ الإعلام الرسمي السوري بالموضوع بحماسة على قاعدة «عدوّ عدوّي صديقي»!

لا فائدة كبيرة من تكرار عيوب المهزلة القضائية التي شابت المحاكمة القطرية، وهي اختصرتها «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» و«المفكرة القانونية» بستة عيوب من النوع الذي يبطل المحكمة من أساسها. لا فائدة من كل ذلك بما أنّ الحديث يدور عن إحدى دول «حالة الاستثناء».

مسكين محمد بن الذيب العجمي. غداً يفاوَض على إطلاقه وتصبح حريته منّة من الحاكم، مع انها حق له. تجرّأ على الإشهار بأنّ الانتفاضات العربية حلقات في سلسلة واحدة، فقُضي عليه، تماماً مثلما سبق لغيره أن رفع في سوريا شعار: من أجل تحرير فلسطين، يجب إسقاط النظام السوري... فكان ما كان.

أرنست خوري

العربي السفير

قضية

٧٠ ألفا هو عدد السجناء في مصر، هم موزَّعون على ٤٥ سجناً. ٢٨ في المئة منهم محكومون بقضايا عدم الوفاء بالتزامات مادية، و٢٨,٨ في المئة بأحكام مخدرات. ٥٢.٧ في المئة من السجناء والمحتجزين أمِّيُّون و٢٤ في المئة كانوا عاطلين عن العمل. وهناك ١٦ في المئة من العدد الإجمالي للسجناء لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الابتدائي.

طلاق مبكِّر وموت يُجاور المخاض

زواج القاصرات في العراق

ازدادت في الآونة الأخيرة ظاهرة إرغام الفتيات على الزواج بسن مبكِّرة، وأخذت منحى جديداً من حيث الأسباب وصيغ الإرغام. فمنذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ وحتى بداية السبعينيات، كانت الفتاة عرضة للزواج من رجل غريب أو من المقربين للعائلة، لأن ولي أمرها ارتأى أن يمنحها لهذا الرجل كأي سلعة تُهدى، من دون أن يكون لها حق الاعتراض أو مجرد إبداء الرأي. كما أنها كانت تمنح لرجل من قبيلة أخرى كجزء من «دية» تتَّفق عليها العشيرتان لحلّ خلافاتٍ ناشبة بينهما، وتسمَّى «فَصْليَّة». والفتاتان، الهداة والفَصْليَّة، ليس لهما حقّ المطالبة بالتفريق أو الطلاق، لأنَّهما مجرَّدتان من حقوقهما وفقاً للأعراف العشائريَّة. ولذلك فإنَّ «الحوليَّة الديموغرافيَّة» التي تصدرها الأمم المتَّحدة نشرت عام ١٩٦٨ جدولاً لحالات الطلاق في تسع دول عربيّة خلال الأعوام ١٩٦٣-١٩٦٧ وبيّنت حينها أن نسبة العراق في معدلات الطلاق هي الأقل في الجدول، بينما جاءت مصر في مقدمتها.

أما في منتصف سبعينيات القرن الماضي، فقد أصدرت حكومة الرئيس العراقي الأسبق أحمد حسن البكر قراراً مُنع بموجبه تزويج الفتيات وفق أعراف الدية أو الهدية. ومثّل القرار خطوة أولى في توجه المجتمع نحو المدنيّة، وعزوفاً واضحاً عن ترسبات المجتمع القبلي أو البدوي، وجاء ضمن حزمة قرارات فرضتها الثّقافة المجتمعيَّة الجديدة التي ساعد على نشرها التحالف الجبهوي بين حزب البعث الحاكم آنذاك والحزب الشيوعي العراقي وأحزاب كردية، تحت لافتة «الجبهة الوطنية والقومية التقدمية». وهذه استهدفها صدام حسين فشنّ حملة شرسة على التنظيمات المنضوية في الجبهة، وقتل وشرد قياداتها وكوادرها وقواعدها. وكان هذا من بين أسباب أخرى لعودة القيم والأعراف العشائريَّة والبدويَّة الى الانتعاش، وهي التي تشكّل المرأة إحدى أهم ضحاياها، على حساب قيم الدولة المدنيَّة.

من اللهو الطفولي إلى هودج العرس

شهدت سنوات الحصار الذي فرضه مجلس الأمن الدولي على العراق، والتي امتدت من عام ١٩٩٠ لغاية عام ٢٠٠٣، تراجعاً كبيراً في الوضع المعيشي للفرد العراقي. وقدَّرت منظَّمة الغذاء والزراعة الدوليَّة أن الفقر اتسع بين عامي ١٩٩٥ – ١٩٩٦ ليشمل ٧١ في المئة من السكان. وإثر هذا، أصبح العراقيون يعيشون في ضائقة مالية كبيرة عجزوا خلالها عن توفير أبسط مقوِّمات الحياة، مما دفع ببعض الآباء إلى تزويج بناتهم بأعمار مبكِّرة ليحقّقوا هدفين في آن واحد، أوَّلهما التخلص من عبء أحد أفراد العائلة، وثانيهما الاستفادة من المهر المقدَّم للعروس، وهو في أغلب هذه الزيجات عبارة عن مبلغ مالي يتسلمه الأب كـ«ثمن» لتلك الفتاة المسفوحة على اعتاب حياة تجهل كل تفاصيلها.

وبعد التغيير الذي حصل عام ٢٠٠٣ ، بإطاحة نظام صدام حسين واحتلال القوات الاميركية للعراق، ازدادت حالات الفقر. وجاءت مصحوبة بظاهرة التأجيج الطائفي الذي شرّد مئات الآلاف من العوائل العراقية داخل البلاد وخارجها، مما زاد في حالات الزواج المبكِّر، بعيداً عن رقابة القانون وأجهزة الدولة ومنظَّمات المجتمع المدني، على الرغم من أن هذا الزواج يمثّل انتهاكاً لحقوق الإنسان، وخرقاً لمواثيق ومعاهدات دولية وقّع عليها العراق. وقد أخذ الخط البياني لهذه الظاهرة بالتصاعد خلال السنوات العشرة من عمر الدولة العراقية «الديمقراطية» التي تشكلت بعد عام ٢٠٠٣.

ويؤكد مسح أجراه الجهاز المركزي للإحصاء، التابع لوزارة التخطيط العراقية بشأن «معارف وسلوكيات وطموحات الفتاة المراهقة»، بالتعاون مع هيئة إحصاء إقليم كردستان، ووزارتي الصّحة والمرأة، إن التقديرات السكانيَّة تشير إلى أن عدد الفتيات في العراق ضمن الفئات العمريَّة (١٠ – ١٤) سنة بلغ ١.٩ مليون فتاة. ووفقاً لهذه التقديرات، فإنَّهن يمثّلن تقريباً ٦ في المئة من إجمالي السكان. وبحسب نتائج المسح فان الفتيات من هذه الفئة العمريَّة يتوزَّعن بواقع ٦٥.٤ في المئة في المناطق الحضرية و٣٤.٦ في المئة في الأرياف.

وتلفت نتائج المسح إلى أن أغلب الفتيات في هذه المرحلة العمرية على مقاعد الدراسة، إذ بلغت نسبة الملتحقات بالتعليم ٨٢.٤ في المئة، وترتفع هذه النسبة في إقليم كردستان لتصل الى ٩٢.٩ في المئة.

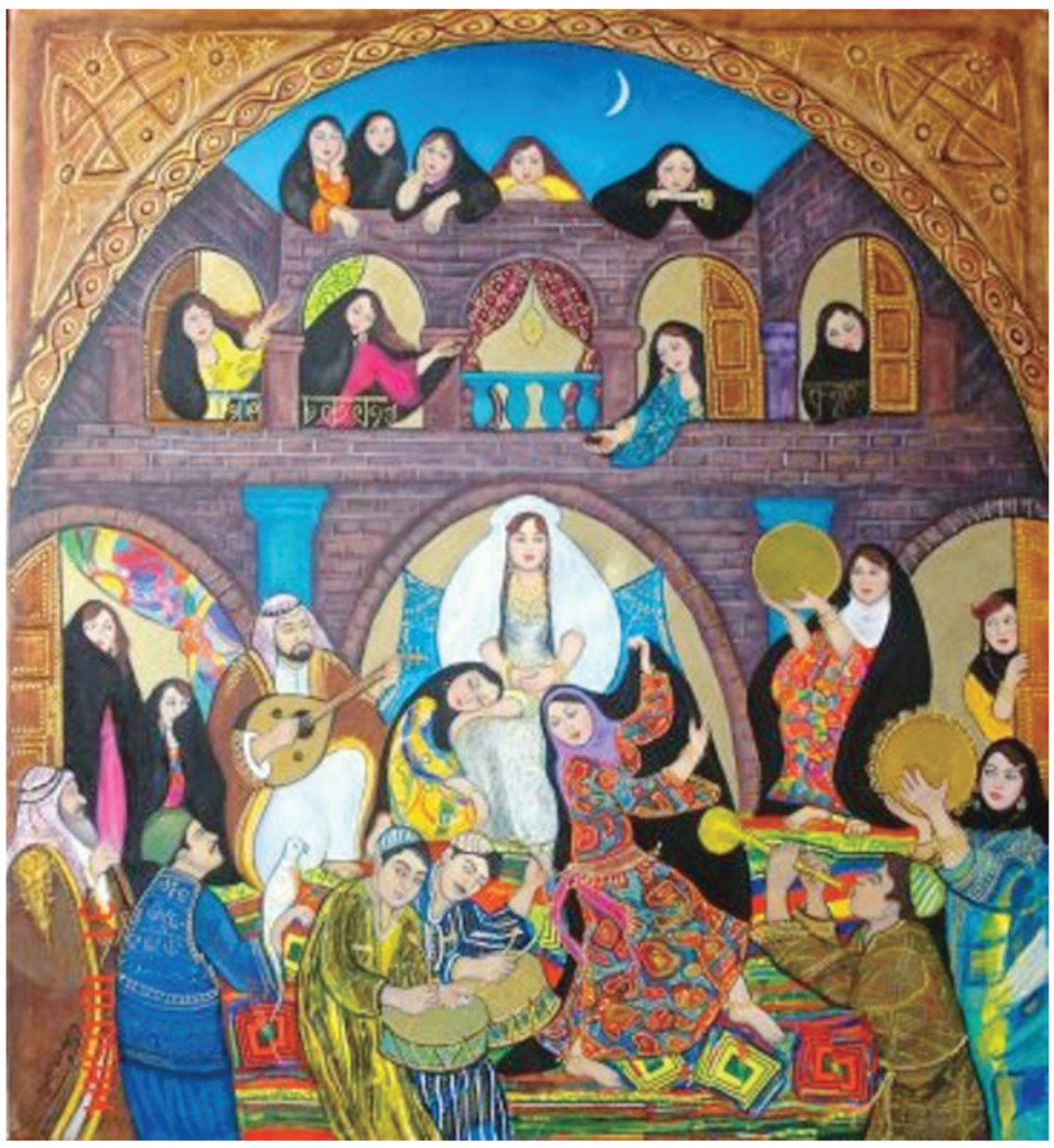

وسماء الآغا، العراق، http://wassma-alagha.blogspot.com

وقد أظهر المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العراق الصادر عام ٢٠٠٧ أن ٢١ في المئة من الفتيات تزوجّن قبل بلوغهن سن الـ١٩سنة، مقارنة بـ١٥ في المئة في أعوام ١٩٩٧ و٢٠٠٤، فيما يظهر الجهاز المركزي للإحصاء عام ٢٠١١ أن ٥ في المئة من الفتيات العراقيات تزوَّجن بعمر دون ١٥ سنة، ونحو ٢٢ في المئة دون ١٨ سنة. ويأتي تصاعد الخطوط البيانيَّة في نسب الزواج المبكِّر، على الرغم من تحذير وزارة المرأة في عام ٢٠١٠ من أن «النساء بين أعمار ١٥ إلى ١٨ سنة هنّ أكثر عرضة للوفاة أثناء الحمل أو الولادة بمرتين بالقياس إلى النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين ٢٠ و٢٤ سنة». وهذه الإحصائيات تفتح الأبواب مشرَّعة أمام حقوق القاصرات، اللواتي يتعرَّضن أكثر للوفاة أثناء الحمل أو اثناء الولادة.

شرعية خارج المحاكم

ومع أن قانون الأحوال الشخصيَّة في العراق رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ يُعدُّ متوافقاً إلى حد ما مع القوانين الدولية التي تدعو إلى أن يكون الحدّ الأدنى للزواج عند اكمال الـ١٨ عاماً، (إذ يمنع القانون زواج الفتاة دون الـ١٥ عاماً، ويعطي التقدير للقاضي وبرضا الوالدين في تزويج الفتاة بين الـ١٥ والـ١٨ عاماً)، إلا أن الشرعيَّة التي تسبغ على العقود المكتوبة خارج إطار المحاكم ولاسيما تلك التي تعقدها مكاتب رجال الدين من سادة ومشايخ، تعتبر ملاذاً لمن يريد تزويج ابنته دون السن القانوني، ولمن يريد أن يتزوج فتاة دون هذا السن. وعقد «السيّد»، أصبح في المجتمع العراقي الحالي ضرورة لا يستقيم العقد الشرعي المعقود في محاكم الاحوال الشخصية بدونها.

وطلاق على ورقة زواج

شكَّلت ظاهرة الزواج المبكر من ناحية، واستقلال المرأة العاملة الاقتصادي من ناحية أخرى، (والذي شهد بعد عام ٢٠٠٣ طفرة كبيرة في المرتبات والامتيازات المالية كالمنح والقروض)، إضافة الى اتساع حجم البطالة وصعوبة الحصول على سكن منفرد للزوجين خارج إطار بيت العائلة... شكلت هذه الظواهر حاضنة أساسيَّة لتصاعد نسب الطلاق في العراق، التي بلغت أعداداً كبيرة، حيث أظهرت دراسة ميدانية للباحثة سجى عبد الرضا، بتوجيه من قاضي الأحوال الشخصية في محكمة الشعب في بغداد، أن الشهر الأول من سنة ٢٠١٠ شهد حالات زواج للقاصرات، راح يتزايد منذ الشهر الأوَّل ولغاية الشهر الخامس من تلك السنة. وبيَّنت الدراسة أن بداية الشهر الأوَّل شهدت عشر حالات زواج للقاصرات من أصل ٤٦ حالة زواج، وفي الشهر الثاني لاحظت تزايداً وصل إلى ٤٧ حالة من أصل ١٣٢ حالة، ثم تزايد أكبر في شهر آذار/ مارس وصل إلى ٨٧ حالة من أصل ٢٨١ حالة، وفي شهر نيسان/أبريل وصل إلى ١٠٠ حالة من أصل ٢٩٧ حالة، أما الشهر الخامس، من السنة ذاتها، فقد شهد تصاعداً واضحاً في معدَّل تلك الزيجات، إذ تشير الدراسة إلى أنها بلغت ٣٦ حالة من أصل ٥٠ حالة خلال الايام الاربعة الأولى منه.

وأوضحت الدراسة أن أغلبيَّة أفراد العينة تقع أعمارهن ما بين الـ١٥–١٧ سنة، حيث بلغ عددهن تقريباً خلال الأشهر الخمسة ٢٤٤ من أصل ٧٤٦ من الزيجات الحاصلة في محكمة الأحوال الشخصية في منطقة الشعب (شرقي بغداد)، مشدِّدة على أن هذا يوضح ارتفاعاً مستمراً في عدد حالات زواج القاصرات للأعمار المبينة آنفاً والتي تمثّل ما يقارب ٣٠ في المئة من إجمالي عقود الزواج.

بمقابل هذا، تشير الأرقام الصادرة من مجلس القضاء الأعلى إلى أن حالات الطلاق تتزايد بشكل مطرد منذ عام ٢٠٠٤ الذي شهد ٢٨٦٩٠ حالة طلاق. وفي عام ٢٠٠٥، أصبح عدد الحالات ٣٣٣٨٤ حالة، ثم ٣٥٦٢٧ حالة في عام ٢٠٠٦، وليستمر في الارتفاع مع سنة الاحتقان الطائفي عام ٢٠٠٧، فيبلغ ٤١٥٦٠ حالة. أما في عام ٢٠٠٨، فكانت زيادة نسبة الطلاق ملحوظة حيث بلغت ٤٤١١٦ حالة، وتوَّجت في العام ٢٠٠٩ بنسبة كبيرة بلغت ٦١٤٦٦ حالة. إلا أن العام الذي تلاه شهد تراجعاً طفيفاً، ولكنه لم يستمر، فجاء عام ٢٠١١ ليستعيد النسبة الأسبق.

بالرغم من تشخيص المشكلة من قبل الوزارات ولجان مجلس النوّاب المختصة بالقضايا الاجتماعية، فلا وجود لحلول جذريَّة لها. وتلخّص تلك الهيئات أسباب الطلاق المتزايد بعوامل رئيسة ثلاثة هي «الزواج المبكِّر بسبب التأثيرات العشائرية»، و «البطالة»، و«أزمة السكن».

إدراك ولكن لا حلول

وتبدو هذه العوامل الثلاثة عصيَّة على الحل، إذ لا يزال السياسيون يهرعون إلى شيوخ العشائر لتحشيدهم من أجل الحصول على أصوات أبناء عشائرهم في الانتخابات، ما يعطي لهؤلاء قوَّة تتعدَّى حدود القانون في الكثير من الأحيان. أما البطالة، التي بلغت ١١ في المئة بحسب احصائية لوزارة التخطيط، فإنها لا تبدو متناغمة مع نسبة الفقر في البلاد التي بلغت ٣٨ في المئة بحسب «اللجنة العليا للتخفيف من الفقر». أما أزمة السكن، فقد أصبح حلّها الحلقة الأصعب في تاريخ العراق الحديث. ما يعني، وفق كلّ هذه الاحصائيات، إن العراق سيحلُّ في طليعة الدول في قائمة الزواج المبكِّر لإحصائيات الأمم المتحدة التي تتوقّع فيها أن تبلغ حالات زواج القاصرات نحو ٥٠ مليون حالة في العالم بحلول عام ٢٠٢٠، وأن هذا العدد سيصبح ١٠٠ مليون بحلول عام ٢٠٣٠، في حال استمرت الأمور على ما هي عليه.

عمر الجفَّال

شاعر وكاتب من العراق

انتشار الإذاعات الحرة في تونس

كان تسرب أول فيديو وأول مقال بعدما أحرق محمد البوعزيزي نفسه في ١٧ كانون الاول/ ديسمبر ٢٠١٠ بمثابة اقتلاع لأول حجر من سور السجن الكبير الذي كان يسيج حياة التونسيين. التقط المجتمع وسائل الإعلام الافتراضية من مدونات وصفحات فايسبوك وحسابات على موقع تويتر وغيرها، كأسلحة للدفاع عن نفسه. فمن خلالها تم التشهير بالنظام السياسي والدعوة لعمليات الحشد والتحرك. وتم تطوير هذه الصفحات الافتراضية وربطها بالواقع المعيش، فولدت الاذاعات الجمعياتية أو المجتمعية في سياق الاعلام المواطني. تجربة تعرف نجاحاً كبيرا وتترسخ كل يوم، بل هي أصبحت منافسا حقيقيا لوسائل الاعلام التقليدية، تمدها بالمعلومة الحينية وتكشف أسرار القضايا وتوجه الرأي العام بعيدا عن المغالطات والتوظيف. وهي مكنت المواطن البسيط والمهمش من المشاركة في صياغة رسالته الاعلامية.

تجاوز المدونون ونشطاء هذا الاعلام الشعبي مجال نشر الخبر الى الاهتمام بقضايا المجتمع عموما، فتشكلت المجموعات والآراء بطريقة تفاعلية وتشاركية وأقيمت حملات المناصرة والحشد لكبرى القضايا. فاعتصام القصبة الذي تمكن من خلاله الشعب التونسي من تحقيق مطلب الحصول على مجلس تأسيسي منتخب ينبثق منه دستور جديد للبلاد، كانت منطلقاته والمتابعة الدقيقة والتوثيق المباشر له، كتابة وتصويرا سمعيا بصريا، لا تمر إلا عبر شبكات التواصل الاجتماعي. وتحولت هذه الوسائل الافتراضية الى بوابة للنقاش السياسي والاجتماعي، ودفع المجتمع نحو المشاركة في الحياة العامة وتبادل المعلومة، متجاوزة بذلك إشكالية المتلقي السلبي. وحدثت النقلة النوعية الثانية عندما انبثقت الاذاعات الحرة وتكاثرت في كل حي أو قرية في تونس، تبث برامجها كما يحلو للقائمين عليها. وهي مؤسسات إعلامية لها موجات الأثير التي تسلكها، ولها برامجها وخطها التحريري.

جاءت هذه النقلة من الافتراضي (انترنيت، فيسبوك وتويتر) الى «الواقعي» بفضل إدراك المدون أن الاذاعات هي إعلام شعبي يتيح المجال لممارسة المواطنة والحق في التعبير. وأول محطة إذاعية في تونس تأسست في ١٠ كانون الاول/ ديسمبر سنة ٢٠٠٧، بالتزامن مع الذكرى التاسعة والخمسين للإعلان العالمي لحقوق الانسان. ولكنها لم تحصل على رخصة البث عبر الاثير إلا بعد سقوط نظام بن علي، وتقول مديرتها: «راديو ٦ هو أول مشروع إذاعة حرة في تونس، تأسست من طرف ستة صحافيين مناضلين من أجل حرية التعبير». وقد خرجت الى النور تجارب اخرى على غرار اذاعة «صوت المناجم» بمدينة قفصة، واذاعة «الشعانبي أف أم» بالقصرين، و«اذاعة الكرامة» في سيدي بوزيد، واذاعة «راديو شعبي» في تونس العاصمة...

وقد أخبرتنا الصحافية رجاء يحياوي، العاملة براديو «الشعانبي أف أم» بأن «البث التجريبي للراديو انطلق يوم ٢٥ أيار/ مايو ٢٠١٢، لكن سبق ذلك العديد من التحضيرات، سواء من قبل التقنيين أو المنشطين. فقد تكاتفت جميع الجهود ليرى هذا المولود الإعلامي الجديد النور». وتضيف: «بالنسبة لي كمنشطة في الاذاعة، أعتبر حرية التعبير أهم شيء في عملي. وأعتبر إصراري على العمل التطوعي بهذه المؤسسة، رغم الظروف المادية الصعبة، واجبا للحفاظ على مولود إعلامي هو الوحيد في منطقة عرفت التهميش الثقافي والاقتصادي لسنوات عديدة». ويمكن التطرق الى المسؤولية الاجتماعية التي تقلدتها وسائل الاعلام هذه، وسعيها الدؤوب الى تسليط الاضواء على المهمش والفقير، وتمكينه من مساحة إذاعية يشارك فيها مجتمعه آراءه وهمومه. فقد أتيحت فرصة التنشيط الاذاعي لكل من يرغب بالمشاركة، سواء كان عاملاً أو عاملة في المهن البسيطة أو الشاقة، أو طالباً أو موظفاً، وهو ما يتيح البحث في مشاكل هؤلاء وفي العراقيل التي تعترضهم في حياتهم العامة، ليتأسس فضاء بديل تكتنفه حرية التعبير والمسؤولية في المراقبة والنقد والاستقصاء.

حسان حاجبي

صحافي من تونس

ما قبل وما بعد

قبل سقوط نظام الرئيس زين العابدين بن علي، تولّت مجموعة كبيرة من مؤسّسات الدولة التونسية تنظيم الجهاز الإعلامي، إذ كانت وزارة الاتصالات هي الجهة المسؤولة عموماً عن الإعلام، فيما كانت وزارة الداخلية هي المسؤولة عن المصادقة على طلبات إصدار المطبوعات الجديدة. وقد حوّلت وزارة الداخلية تلك العملية، التي كان ينبغي أن تقتصر على مجرد إخطار بسيط، إلى نظام مقنّع لمنح التراخيص. واللافت انه منذ العام ١٩٩٠، تأسست «الوكالة التونسية للاتصال الخارجي»، المشرفة على توزيع عائدات الإعلانات التي يتم تحصيلها من الإدارات العامة على وسائل الإعلام المختلفة، وبالتالي كانت تقرّر حجم تمويلها وجدوى استمرارها.

وترى الكاتبة فاطمة عيساوي، في تقرير أعدّته أخيراً لمركز «كارنيغي»، أنّ ظروف العمل لا تزال اليوم سيئة بالنسبة للعاملين في قطاع الإعلام التونسي، حيث يعمل العديد من الصحافيين وفق عقود عمل موقّتة قد تُجدَّد لفترات طويلة، إلا أنها تبقى من دون أي أمان وظيفي. وتشير إلى أن إحدى المسائل التي تعيق تطوّر مهنيّة الإعلام التونسي، تُختصَر بواقع أنّ وسائل الإعلام التقليدية «أصبحت مظهراً مركزياً من مظاهر الصراع السياسي الدائر بين الحكومة الجديدة التي يقودها إسلاميون معتدلون من جهة، والمعارضة العلمانية الجديدة من جهة أخرى».

دليل الدكتاتور الذكي، دليل الشعب الأذكى

يقول الدكتاتور: نحن مع حرية التعبير عن الرأي، ولكن أي تجاوز سوف يقابل بعنف.

وراء هذه الجملة أزمة نفسية عميقة.

لقد بحث الديكتاتور بدقة عن التعبير عن الرأي في بلده فلم يجد. وجد عنفاً وزعيقا وصراخاً. وجد إشارات وألفاظاً بذيئة من المعارضين. وحينما لم يجد إشارات وألفاظاً بذيئة، وجد عدم موضوعية في تقدير الأمور من جانب المعارضة. الدكتاتور كان يحلم بمعارضة من الملائكة، لا تغضب ولا تزعق. ولذا فقد قرر تعليمهم عدم الانسياق وراء الغضب. وأين يمكن للمعارضة أن تتعلم هذا الدرس؟ المعارضة الآن في السجن تدرس الأساليب المنهجية لفن إدارة الحوار الديمقراطي.

متى وجد الدكتاتور راحة قلبه؟ لقد وجدها في حزبه الحاكم. الناس هناك يتحدثون باحترام عن إنجازاته. ولذا فقد قرر تعيين أفراد المعارضة من حزبه، وبدأ يسمع من داخل الحزب انتقادات قاسية مثل: «أنا بعارضك عشان انت بتشتغل فوق طاقتك عشان البلد. لازم تريح نفسك شوية يا ريس». هذه المعارضة كانت قاسية ولكنه تحملها. الدكتاتور ليست لديه مشاكل مع المعارضة في حد ذاتها.

إذن يا أصدقاء، إذا سمعتم الدكتاتور يقول «نحن مع حرية التعبير عن الرأي»، فلا تدعوه يكمل جملته. قاطعوه، صفروا، هيّصوا، هذا يدخل من ضمن حق التعبير عن الرأي، صفقوا له كثيراً بحيث لا يتمكن من إنهاء جملته.الديكتاتور يريد إكمال الجملة، النصف الثاني للجملة هو ما جاء ليقوله وليس الأول. يتحشرج حلقه، يغلي الدم في رأسه، يحاول إسكات الجماهير ولا يفلح. التصفيق له يمتزج بسباب يوجه إليه. الجماهير تهجم عليه لتحتضنه، وبعضهم يسرق ساعته. فجأة، يسقط الديكتاتور في غيبوبة سكر. هممممم. مش مهم. هل كنتم تحتاجونه في شيء؟

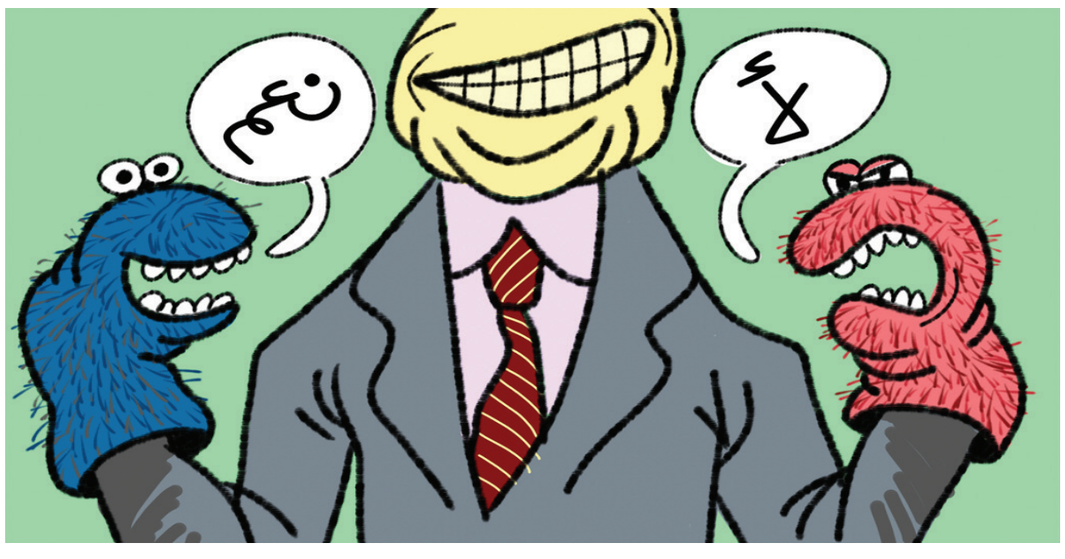

العربي السفير

متابعات

مليون وحدة سكنية إضافية يحتاج العراقيون إليها لسد حاجاتهم السكنية، كون ٢٧ في المئة من الأسر لا يملكون مساكن. وتتفاوت الحاجة وفق المحافظات العراقية، وتأتي ذي قار وميسان والقادسية وكربلاء وبابل والسليمانية في صدارة المناطق ذات النقص في المساكن. كما انّ ما يقارب من نصف سكان الريف العراقي يعانون من الحرمان من امتلاك المسكن.

مصر: نهرٌ وبحران.. وشعبٌ تحاصره البطالة!

على الرغم من طول واديها وأصالته، وخصوبة دلتاها ورحابتها، وكنوز بحريها ورمالهما، تضيق على أبنائها، وتحرم كثيرا منهم حق العمل كوسيلة للبقاء، حتى بعد أن انتفضوا ليذكروها بوجودهم وبحقهم في كل ما أفاض الله عليها من ثروات ونِعَم.

الزراعة والامن الغذائي

بطول ١٥٣٢ كيلومترا، يجري نهر النيل في مصر، التي استقر في نفوس شعبها منذ آلاف السنين أنه واهب الحياة وشريانها، ومصدر الخيرات، والتي تزرع بمياهه أكثر من ٦ مليون فدان، وتبلغ حصتها من تلك المياه ٥٥.٥ مليار متر مكعب. ويفرض تهديد هذه الحصة اليوم (بفعل عدة عوامل)، إعادة النظر في استغلال جريان أطول أنهار العالم في أرض مصر، بما يؤدي الى تعظيم عوائد هذا النهر على الاقتصاد الوطني، علاوة على ضمان الأمن المائي للمصريين. وثمة العديد من الأطروحات والمشروعات التي اهتمت بذلك، لكنها بقيت حبيسة الأدراج، منها المشروع الذي يطرح رؤية ابتكارية للاكتفاء الغذائي، والقضاء على البطالة والفقر بتكلفة غير عالية، وهو المشروع الذي يعتمد على تسخير الجبال والمرتفعات في توصيل المياه من السد العالي مباشرة الى الأراضي المزروعة، في أنابيب تحملها هذه المرتفعات، مما يوفر الفاقد من نظام الري والصرف الحالي، ويتيح استخدامه في زراعة مساحات جديدة، حيث تتدفق المياه في الأنابيب العملاقة بفعل الميلان والجاذبية فتغذي بالمياه الأراضي القديمة، وتزرع أراض جديدة باستخدام خطوط أنابيب هابطة من المرتفعات دون ضخ، أو باستخدام أي طاقة بترولية أو كهربية.

ويتركز هدف المشروع الرئيسي في وقف إهدار حوالى ٢٢ مليار م٣ من المياه سنوياً، وهي تكفي لزراعة نحو ٧ ملايين فدان، دون الحاجة إلى زيادة في حصة مصر من مياه النيل. وهو ما يعود بنتائج هائلة أهمها تحقيق الاكتفاء من الغذاء، وخلق ما يقارب ٧ ملايين فرصة عمل تسهم في القضاء على مشكلة البطالة.

كثيرة هي المشروعات التي يمكن أن يكون عصبها مياه النيل، وتشكل جزءاً من مشروع عملاق لتنمية مصر، عبر زراعة آلاف الأفدنة، وتدعيم القدرة الزراعية بزيادة الانتاج الزراعي، وخلق مجتمعات عمرانية، وبالتبعية خلق فرص عمل لملايين من الشباب المصري. وليس أقل هذه المشروعات أو أصعبها، تنمية سيناء عن طريق توصيل مياه النيل إلى أراضيها عبر ترعة السلام، التي يمكنها تحقيق التوسع الزراعي الأفقي في مساحة ٤٠٠ ألف فدان شرق قناة السويس، و٢٢٠ ألف فدان غرب القناة.

سمك في الشط

علاوة على ذلك، يحوي النهر العظيم ثروة سمكية هائلة، ولكنها باتت مهددة اليوم بنفوق أطنان منها، مثلما حدث مؤخراً في شمال الدلتا في محافظات البحيرة، وكفر الشيخ، ودمياط، والدقهلية، نتيجة تلوث مياه النهر، وارتفاع نسبة الأمونيا فيها، بسبب صرف المخلفات الصناعية في مياه نهر النيل، واختلاط مياه الشرب بالصرف الصحي. ومع تهالك محطات تنقية المياه وانتهاء عمرها الافتراضي، تحولت مياه النيل ليس فحسب الى مادة لقتل أسماكه التي يُفترض أنها أحد مصادر ثروة المصريين، بل أصابتهم تلك المياه بالتيفوئيد والأمراض المعوية، وهددت حياتهم.

ثروة اسمها الرمال السوداء

بترسيب مياهه على طول الساحل المصري، يمنح النهر المصريين كنزاً آخر غير مستغل، تحتويه الشطآن المصرية، يسمى «الرمال السوداء»، التي تتركز في شمال الدلتا، وخاصة في شرق فرع رشيد، وتعتبر المصدر الأساسي لكثير من المعادن ذات الأهمية الاقتصادية، التي يمكن أن تعود على مصر بملايين الدولارات سنوياً. فمصر تمتلك ما يقرب من ١١ موقعاً على سواحلها الشمالية تنتشر بها «الرمال السوداء» بتركيزات مرتفعة، فيما يشكل العائد الاقتصادي من موقع واحد فقط منها أكثر من ٢٥٥ مليون جنيه سنوياً، ويوفر استغلالها على مصر ملايين الدولارات التي تنفقها في استيراد تلك المعادن، كالزيركون الذي يعتبر أحد العناصر الأساسية في صناعة السيراميك، وأغلفة الوقود النووي في مفاعلات توليد الكهرباء، بالإضافة إلى الحديد، والغرانيت، والمونازيت الذي يحتوي على نسبة عالية من العناصر الأرضية النادرة التي تدخل في كثير من الصناعات الحديثة، كما أنه يصلح لإنتاج الوقود النووي. ومعدن التيتانيوم الذي يستخدم في صناعة أجساد الطائرات والغواصات وقضبان السكك الحديدية. فلماذا لا تستخدم هذه الثروة، ويتم إنشاء مجمّع صناعي متكامل لفصل المعادن من الرمال السوداء، وتقام لكل معدن صناعة، تقول التقديرات أنها والحال تلك ستكون أكثر من عشرين صناعة مختلفة؟

الغاز في البحر المتوسط

وحيث يصب النهر الخالد، يوجد البحر المتوسط، الممتد ساحله بطول ٩٩٥ كم. وقد أثارت قضية ثروات مصر المنهوبة في عرض البحر جدلاً واسعاً في الفترة الأخيرة، عندما أكد عدد من الباحثين والخبراء وعلماء الجيولوجيا المصريين وقوع ثلاثة حقول غاز طبيعي في المياه الاقتصادية المصرية، وهي الحقول التي اعتدت عليها إسرائيل وقبرص، وتحتوي على ثروة هائلة من احتياطات الغاز الطبيعي، تتجاوز ٢٠٠ مليار دولار، في حين أن هذه الاستكشافات هي باكورة التنقيب في تلك المنطقة البكر، التي تحتوي على أحد أكبر احتياطيات الغاز في العالم، بما قد يعيد ترسيم خريطة القوة والثروة في المنطقة. ولحصول مصر على ثروتها من الغاز الطبيعي، ثم استغلالها من خلال الصناعات التكميلية، عوائد ضخمة يمكنها توفير فرص عمل للشباب، مباشرة وغير مباشرة، فضلاً عن زيادة القيمة المضافة لدعم الاقتصاد الوطني. لكن مسئولي وزارة الخارجية ووزير البترول المصري حاولوا جاهدين نفي استباء إسرائيل على الغاز المصري، أو وجود أية عمليات استكشاف أو حفر في حقول بترول أو غاز داخل المناطق المصرية الخالصة... حرصا ربما على أن يظل الدور الرئيسي للبحر المتوسط، هو حملِه فوق امواجه (أو في جوفه، كمقبرة) الشباب المصري الهارب من البطالة إلى مصير مجهول.

في البحر الاحمر أسماك...

ويشترك البحر المتوسط مع البحر الأحمر، الذي يمتد ساحله بطول ١٩٤١ كم، في كونهما أيضا مصدراً لثروة سمكية ضخمة، حيث تحتل المصايد البحرية المرتبة الثانية من مصادر الإنتاج السمكي في مصر، فتشكل مصايد البحر المتوسط حوالي ١١ في المئة من الإنتاج السمكي الكلي، بينما ينتج خليج السويس والبحر الأحمر حوالي ٨.٨١ في المئة من ذلك الإنتاج سنوياً. وهذا يمكنه أن يكون أحد المجالات الأساسية المساهِمة في تحقيق أهداف خطط التنمية الصناعية، باعتباره أحد مصادر إمداد العديد من الصناعات بالمواد الأولية. كما تقوم بجانب هذه الصناعات الأساسية مجموعة أخرى من الصناعات المساعدة، أو الصناعات الخدمية. ومجموع الصناعات الأساسية والمساعدة هي ما يطلق عليه «الصناعات السمكية»، التي تتعدد وتتنوع مجالاتها، مثل تصنيع المنتجات السمكية الغذائية، وورش بناء السفن والإصلاح والصيانة، والصناعات المتصلة ببعض نظم الاستزراع السمكي. حيث أن الاستغلال الأمثل للثروة السمكية وغيرها من الثروات البحرية يتحقق في وجود صناعات سمكية متطورة، باستثمارات مالية كبيرة، وتوطين التكنولوجيا الحديثة، وتشغيل الأيدي العاملة الوطنية وإكسابها مهارات وخبرات العمل اللازمة.

... ومعادن

وتبقى جبال البحر الأحمر المنطقة الرئيسة لإنتاج كثير من المعادن، فتضم المحافظة ٧٥ في المئة من الثروة المعدنية في مصر. وهي على الرغم من احتوائها على غالبية ثروة مصر التعدينية لا يوجد بها إلا مصنع واحد صغير لتقطيع الرخام في رأس غارب. فمعظم إنتاج مصر من المعادن يصدَّر كمواد خام، بينما ستعود مكاسب هائلة في حال الاستثمار في المعادن، وإقامة عدد من المشروعات الصناعية القائمة على خاماتها، التي يمكنها استيعاب أعداد كبيرة من العاملين، فضلاً عن دعم قدرة الاقتصاد بتصدير مشتقات المعادن الصناعية.

لا فقر بل إفقار

مشكلة البطالة في مصر ترتبط بسياسات التنمية غير المتوازنة قطاعياً، بين مختلف القطاعات الاقتصادية، وغير المتكاملة جغرافياً بين مختلف الأقاليم والمحافظات، كما تقترن بالعجز في العمالة الماهرة، وهي التي تعالج باعتماد سياسات تعليمية وتدريبية قوية، توفر التدريب المستمر للمستويات الوظيفية والمهنية المختلفة. لكن الأهم هو تغيير بنية النظام الاقتصادي، وتغيير السياسات الاقتصادية التي كانت البطالة أحد أهم إفرازاتها، والتي شكلت عوامل الانفجار الثوري في كانون الثاني/يناير ٢٠١١. سياسات تُراكم الفشل، وتراكم ثروة الطبقة المستفيدة منها، والمستحوذة على موارد البلاد وثرواتها.

وتلك السياسة يقطن موجهوها في واشنطن. فلقد أكدت كل مسودات الدستور المصري الذي كتب بتعجل الآن، ويطرح لاستفتاء لا يقل عن تلك الصياغة تعجلاً، أن النظام الحالي يتبنى سياسات السوق الحرة. وهذه تعني خصخصة ما تبقى من القطاع العام، وتفكيك القطاعات الأساسية من مؤسسات التعليم والصحة والخدمات العامة، وذلك في إطار سيطرة القطاع الخاص على إدارة الاقتصاد، وانسحاب الدولة من دورها في تلبية الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية للناس. ويعني هذا عدم قدرة الدولة على ضمان حق العمل، والحد من البطالة، وعلاج الفقر، لأن تلك الضمانات تتناقض مع السياسات الفعلية التي يتبناها النظام. بل لن تعود الدولة تستطيع القيام بدور الإسفنجة التي يمكنها امتصاص جزء من البطالة، من خلال تحميله على أجهزتها ومؤسساتها، فيما يعرف بالبطالة المقنّعة. وإلا ما اعتصم العشرات من خيرة أبناء مصر، وعقولها المستنيرة، حاملين في جيوبهم وعقولهم شهادات درجتي الماجستير والدكتوراه في مختلف التخصصات، على رصيف مجلس الوزراء، وأمام منزل رئيس الوزراء، كي يمن عليهم بالتعيين في الجهاز الإداري للدولة، بعد أن تنازلوا كرها عن حقهم في العمل من أجل بناء عقول شباب مصر واقتصادها الممكن!

نجلاء مكاوي

باحثة في مركز النيل للدراسات الاقتصادية والاستراتيجية

حلم ..

تمّام عزّام/سوريا

arabi.assafir.com

يستقبل الموقع مساهماتكم وتعليقاتكم واقتراحاتكم.
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

ضدّ تزويج القاصرات... في المغرب

الرباط ـ الأحد ٩/١٢/ ٢٠١٢ (رويترز، أ ف ب)

مدونات

الشرقية في الغرب

اسم مدوَّنة المغربية سامية الرزّوقي «الشرقية في الغرب»، شديد التعبير عن اهتمامات صاحبتها. فسامية، المغربية المقيمة في الولايات المتحدة الأميركية، والمتنقلة بشكل دائم بين واشنطن والرباط، تدرس العلاقات الدولية مع تركيزها على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. كما أنّ تخصّصها الجامعي هو حول المغرب، مما يهيمن على كتاباتها في عدد من الصحف والمواقع الالكترونية ومراكز الدراسات العربية والغربية. عدد المواد المتوفرة، خصوصاً باللغتين الانكليزية والفرنسية على المدونة، كبير جداً، بما أنّ سامية تعيد نشر جميع مساهماتها المنشورة في الصحف والمواقع التي تكتب فيها بشكل منتظم.

إحدى المقالات المثيرة التي يمكن العثور عليها في المدونة، هي تقرير جمعت سامية مادته حول اهتمام المفكر الأميركي اليساري نعوم تشومسكي بمسألة الصحراء الغربية. تتعاطى سامية مع مدونتها بمنطق صحافي احترافي، فالتحديث شبه يومي، والتصميم هادئ ومريح، والمضمون موزع بين مقالات وتعليقات القراء والمقابلات، ومقاطع من تسجيلات تكون أحياناً فنية. رغم سعي المدوَّنة للتوسع مغاربياً وعربياً بشكل عام، إلا أنها تركّز على بلدها المغرب. أسفار سامية عديدة، لذلك فقد استحدثت زاوية في مدونتها مخصصة للصور تحت اسم my travels أو «أسفاري». لمدونة «الشرقية في الغرب» ٥،١٣٣ متابعاً، وتغريداتها تناهز العشرة آلاف.

http://samiacharquaouia.wordpress.com

ما بعد الاعتراف بفلسطين كدولة غير عضو

«الاعتراف بفلسطين كدولة غير عضو جاء نتاج جهد كبير للديبلوماسية الفلسطينية على مستوى العالم، وكان خير دليل على ذلك أن جاءت نسبة التصويت بالاكتساح لصالح القرار...

نحن نعلم أن هذا القرار لن يغير من الواقع الفلسطيني المرير، فلن تتغير سياسة الاحتلال في البطش والاعتقالات واقتحام المدن الفلسطينية المصنفة ضمن اتفاقيات اوسلو على أنها مواقع سيادية للفلسطينيين، ولن نفيق في الصباح القريب لنجد الحواجز التي تقطع أوصال الوطن الى كانتونات يصعب التواصل جغرافيا في ما بينها وقد أزيلت من أماكنها، ولن تقوم دولة الاحتلال بوقف بناء المستوطنات، بل إنها ستعمل على زيادتها وتكثيف البناء فيها لفرض سياسة الأمر الواقع في أي مفاوضات قادمة. ولهذا كله يجب على القيادة الفلسطينية أن تتسم بالشجاعة والجرأة من جديد، وأن تقوم بالانضمام إلى ميثاق روما الذي تأسست بموجبه محكمة الجنايات الدولية، وهنا فقط نستطيع أن نقول إننا سوف نحصد ثمرة اعتراف العالم بنا كدولة غير عضو في أروقة الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبهذا يصبح كل جنود وضباط ومسؤولي جيش الاحتلال تحت عدالة محكمة الجنايات الدولية، وليكونوا مسؤولين عن تصرفاتهم بحق الشعب العربي الفلسطيني. ويجب على السلطة تفعيل قضية جدار الفصل العنصري من جديد لان السلطة اليوم تستطيع أن تعيد القضية إلى الواجهة بصفتها الحالية...».

من المدونة الفلسطينية «بدي أحكي»
http://bdyahky.blogspot.com/

لنستنشق هواء أفضل!

«الحكاية أنّني وصلت إلى مطار الدار البيضاء قادما من طنجة، اليوم صباحا (قبل ساعتين بالضبط). أشعر برغبة في النوم فتوجّهت نحو أحد المقاهي المتواجدة داخل المطار، كوب قهوة ساخن. وأنا جالس في المقهى أحتسي كوب القهوة (جميلة «أحتسي» هذه)، بدأ أحدهم يدخّن أمامي (بلا حياء ولا حشمة)، غير معقول! حدّثته طالبا منه أن يتوقّف عن التدخين، خصوصا أنّ ملصق ممنوع التدخين موجود فوق رأسه تماما، إضافة لملصقات أخرى في كلّ زاوية من المقهى، ناهيك عن ملصقات «لنستنشق هواء أفضل» بالعشرات في جميع أنحاء المطار. ما كان جوابه؟ «يمكنك أن تغيّر مكانك فالتدخين مسموح هنا»، كأنّني تلقّيت صفعة لحظتها! أشرت للافتة ممنوع التدخين على الجدار، ٢٠ سنتمترا عن رأسه، قال إنّها لافتة غير مهمّة، بعض من السخرية والضحك تبعتها دعوة منه لأن أدخّن أنا أيضا، كانت إهانة بالنسبة لي...

توجّهت للموظّفة / النادلة الوحيدة الموجودة في المقهى، أخبرتها عن الموضوع، توقّعت إنصافا. غير أنّ ما حصل كان العكس تماما: أخبرتني انّه من المسموح التدخين في المطار (وخلفها مباشرة كانت لافتة ممنوع التدخين، مجدّدا)، أشرتُ للافتة فأجابت إنّها غير مهمّة. لا بدّ من البحث عن حلّ آخر. طلبت رقم هاتف الإدارة أو الشركة المسيّرة للمقهى فلم أجده. طلبت تسجيل شكوى ولم تبال بأمري (شوية ابتسامة صفراء، شوية سخرية).

من المدونة المغربية
http://blog.amarochan.com/